في الدعوة والحركة

الشباب والدعوة - ١-

أ. متولي موسى

ليس الشباب خيراً محضاً ولا شرّاً محضاً ؛ الشباب عبارة عن الدم الفائر عن قابلية اكتساب كلّ ما هو جديد حسناً كان أم سيّئاً ، وقوة الشباب كحدّ السيف يستخدمه المجاهد في سبيل الله كما يستخدمه قاطع الطريق .. ولذا نجد أنّ الشباب كانوا دعاة المساوئ والمنكرات منذ أقدم العصور وكانوا أيضاً طلائع الخير والصلاح

ألم يكن أهل الكهف كقوله تعالى : ﴿ ... **فِتْيَةٌ آَمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** ﴾ [الكهف : ١٣] كانوا شباباً رفضوا الانصياع للباطل الذي يملك القوة والمال واختاروا الله وحده ؟ .. ألم يرتفع سيدنا يوسف -وهو شاب- بإيمانه فوق مغريات الملك وفتنة النساء وأعلن -وهو في السجن- رفضه للآلهة المزيّفة وإقراره بوحدانية الله ، وفتح مصر ودان له ملكها لا بجيش مدجّج بالسلاح وإنّما بقوة عقيدته ومتانة خلقه وبعمله ووعيه ؟ .. وأصحاب رسول الله ﷺ ، ألم يكن أغلبهم شباباً التفوا حول الرسول الكريم يفتدونه ويفتدون الدعوة الوليدة بالنفس والنفيس .. وبفضل تضحياتهم رفرف علم الإسلام على العالم ؟ ..

أولاً : السمات والخصائص العاطفية والفكرية والسلوكية المميزة للشباب

يمثّل الشباب بمعناه البيولوجي مرحلة معيّنة من العمر تبدأ من بلوغ سنّ الرشد وتمتدّ حتى الأربعين تقريباً ، علماً بأنّ شباب الروح والنفس قد يزداد اتقاداً مع تقدّم العمر .. ويمثّل الشباب همزة الوصل بين جيلين ، فهو يعايش جيل الآباء والأجداد ويتأثّر بسماتهم الفكرية والاجتماعية ، ويعيش جيله هو بما له من ملامح متميّزة ، وما يهمّنا عند إلقاء الضوء على هذه السمات هو رغبتنا في الاستفادة منها لدعوتنا الإسلاميّة : وأهمّها :

١- **المثالية والبحث عن الأعلى** : يرغب الشباب في أن يكون له هدف سام يضحّي من أجله ، وشخصية يتخذها مثلاً أعلى ، لذلك يشيع في أوساط الشباب القول المعروف : (أنا مثلي الأعلى فلان) ، وفلان هذا قد يكون أباه أو أخاه الأكبر أو أحد الأبطال والمشاهير ، وقد يكون أحد لاعبي الكرة أو المغنّين .. وقد يكون محمداً ﷺ إذا كان الشاب مسلماً سلّمه الله من شياطين الإنس والجنّ فأدرك أنّ شخصية الرسول ﷺ هي الشخصية الواجب

اتباعها لبلوغ أعلى مراتب الكمال البشري .. وهذه الخاصّية تجعل الشباب وسطاً خصباً لانتشار الدعوات حــسنها وسيّئها

٢- **حب التقليد** : إذا كان الشباب خالي الفكر من مبدأ يعتنقه وخالي القلب من عقيدة تملؤه ، فإنّه يسارع إلى تقليد كلّ غريب وجديد لرغبته في التغيير ولسرعة مله ولانفساح فكره وقلبه لكلّ جديد ، خاصّة إذا لقي هــوى في نفسه وزيّنته له شياطين الإنس والجنّ ، لذا كانت الخطورة شديدة لوسائل الإعلام في بلادنا -من سينما وتلفزيــون وراديو وغيرها- حين تقدّم للشباب فساد الحضارة الغربية وانحرافاتها في صورة برّاقة تغري بالتقليد والاتباع ، ولــذا تأتي الأهميّة القصوى لإبراز الشخصيات الإسلاميّة في وجدان الشباب بكلّ أسلوب ممكن

٣- **اتقاد العاطفة** : حين يعتنق الشباب فكرة ، حسنة كانت أم سيئة ، فإنّه لا يبخل عليها بنفسه أو ماله ، وما يزال يعمل لفكرته لتغلب وتسود ، ويظلّ وجدانه متقداً بما آمن به

٤- **عفوية التعبير عن النفس والميل إلى ثورية التغيير** : يعرض الشباب نفسه في غير لفّ أو دوران ، فتستطيع أن تنظر إليه كما تنظر إلى إناء من الماء الصافي فترى ما فيه من خير وشرّ ، وهذه الخاصية تعدّ ميزة ، وتعدّ عيبا .. تعــدّ ميزة لميلها إلى جانب الصدق مع النفس والوضوح والصراحة ، وتعدّ عيباً لأنّها توقع الشباب في مــصاعب كــانوا يستطيعون تجنّبها بقليل من المداراة بغير كذب ، وهذا مرتبط بما في نفوس الشباب من ميل للتغيير ، فلو عرضت على مجموعة من الشباب طريقين للوصول إلى هدف ما ، فسيختار أغلبها الطريق الأسرع والأقصر رغم ما فيه من محاذير ومخاطر ، وهنا يبرز دور الدعاة والمربيّن حين يأخذون بيد الشباب في رفق يبصرّهم بمزالق العجلة والسرعة ، فيضمّون إلى طاقات الشباب الفائرة الفكر والخبرة فيأتي ذلك للدعوة بخير الثواب

٥- **القابلية للاستدراج والاستغلال** : لصدق عواطف الشباب وسرعة تصديقه ولعدم إدراكه الكامل بالأبعــاد المحيطة به يكون صيداً سهلاً لسماسرة الدعوات الباطلة ولأصحاب السلطان والمال ، بل ويكون في أحيــان كــثيرة صيداً سهلاً لمن يرفعون كثيراً من شعارات الخير والصلاح فيستغلّونه ليصلوا لما يريدونه من دنيا ومال على حــساب طاقاته . لذا تهتمّ الحكومات بإقامة منظمات شبابية وطلابية لا تبخل عليها بالمال ، ثمّ تعيّن علــى رؤوســها بعــض الموالين للسلطة فيعمل هؤلاء جهدهم ليجمعوا قلوب الشباب حول نظام الحكم هذا أو للفكرة تلك ، وتفلح تلــك الوسائل في تضليل قطاعات كبيرة من الشباب لفترات زمنية محدودة ، فتهدر طاقات الأمة .. لذا فعلى الــشباب أن يدقق كثيراً فيما يعرض عليه من أفكار منمّقة ودعايات برّاقة فيعرضها جميعاً على إسلامه ، على كتــاب الله وســنة رسوله ، فما وافقهما قبله وما خالفهما أنكره ورفضه

٦- **تفتح الشباب على الثقافات والروافد الفكرية المختلفة وقربه من روح العصر** : لو نظرنا للشباب المنتمي لعالمنا الإسلاميّ لوجدناه أكثر احتكاكاً بالثقافات الواردة من خارج البلاد طيّبها وخبيثها ، هذا من ناحيــة العلــوم

الإنسانية كعلوم النفس والاجتماع والتربية ، كذلك فإن منه –بطبيعة الظروف– المختصين أو القريبين مــن العلــوم الطبيعية المختلفة كالطب والهندسة والكيمياء والزراعة وما عداها ، وهذا يتيح للشباب دوراً أكبر في صنع المستقبل في بلادهم وأن يكون منهم القادة والروّاد والمربّون

٧– **حاجة الشباب لتقديم الأفكار له في ثوب علمي منطقي** : لتأثّر الشباب بروح العصر المتــسمة بالمعمليــة والبراهين التجريبية والأسلوب العلمي يميل إلى ما يقدّم له في ثوب علمي مدعوم بالحجة والمنطق غير متعــارض مــع العلم والتجربة ، ولذا رأينا في عصرنا هذا مؤلفات تعتبر غريبة عن روح العصور السابقة مثل (الله والعلم الحــديث) و(العلم يدعو للإيمان) و(الإعجاز العددي في القرآن الكريم) و(التفسير العلمي للقرآن الكريم) إلى آخر تلك الموجة .. ولا شكّ أنّ الانسياق الكامل في هذا التيّار له خطورته ، فمحاولة إيجاد دليل من القرآن والسنّة لكلّ نظرية لم تثبــت أو رأي لم يمحّص مثلاً له خطورته ، غير أنّ الإشارة إلى ما أصبح في حكم الحقائق المسلّم بها وربطها بآيــات الله في الكون شيء مفيد ، ولكن تحت هذا الثوب العلمي استفاد أصحاب الباطل فكسوا نظريات خاطئة بثوب علمي مثل الاشتراكية العلمية والحتميات التي لا نهاية لها ، وفي ظلّ هذا التزاوج الخاطئ بين تخميناتهم وبين العلم جذبوا لصفوفهم فريقاً لا يستهان به من الشباب

٨– **الميل للألفة والاجتماع** : تبرز هذه الصفة في الشباب أكثر من غيره ، وقد يكون مرجعها ما عند الــشباب من وقت فراغ طويل ، يضاف إليه حاجته للتعلّم والاقتداء وخلوّه من مسؤولية الأسرة ، وإذا لم يقع الــشاب علــى الجليس الصالح فإنّه لا محالة سيقع على الجليس السيء ، فإذا أضفنا لذلك سرعة التقلّبات الفكرية والــسلوكية عنــد الشباب فإنّه من الخطورة بمكان أن يزجّ الشاب المسلم بنفسه في محيط صداقات غير إسلامية ، وكذا مــن الخطــورة بمكان ترك إخوتنا من الشباب الذي هم في بداية الطريق نهباً لشياطين الإنس والجنّ ، بل يجب تفقّــدهم ورعايتــهم وإحاطتهم بحبنا ورعايتنا وتخصيص أوقات منتظمة في حياتنا لهذا الغرض

ثانياً : فئات الشباب من حيث ارتباطهم بالإسلام

يتفاوت الشباب قرباً أو بعداً عن الإسلام ، فهماً أو جهلاً به ، يتفاوتون في عواطفهم وولائهم له وفي ســلوكهم وخلقهم ، ثمّ يتفاوتون عندما يكون ولاؤهم للإسلام في عطائهم وجهادهم في سبيل دعوتهم الإسلاميّة

وإذا حاولنا تقسيم الشباب حسب ارتباطهم الحقيقي بالإسلام نجد :

١– فئة يعيش بينها الإسلام غربة حقيقية ، فتصوّراتهم وعواطفهم وسلوكهم من غيره ، بل قد يكون وقع كلمة الإسلام غريباً على مسامعهم أو يكون مرادفاً للتخلّف عندهم ، وواجبنا الأوّل تجاههم هو أن نزيل غربة الإسلام من وجدانهم بالتركيز على الصبغة الإسلاميّة لنا تصوّراً وسلوكاً وعملاً ، وأن نقرع مسامعهم بالحق في لين خــال مــن الضعف وقوة خالية من الغلظة ، وأن نربطهم بمصادر الإسلام الأساسية

٢- فئة من الشباب تحول بينهم وبين إسلامهم شبهات أثارها المستشرقون وتلاميذهم ، وهؤلاء يجب أن نحـــاول إزالة ما علق في وجدانهم من شبهات حول الإسلام ، ولا يحسبنّ أحد أنّ تحويل عواطف الشباب للإسلام أمر هيّن ، فإنّها خطوة تسبقها خطوات لردّهم إلى الطريق الإسلاميّ

٣- فئة من الشباب ليس الإسلام على سمعها بغريب ، وولاؤها للإسلام قائم ، لكنّها تجهل الإســـلام كمنـــهج شامل للحياة ، تجهله ديناً ودولة ، جهاداً ودعوة ، تجهله اقتصاداً وسياسة ، اجتماعاً وتربية ، حرباً وسلما .. وهـــذه الفئة مهيّأة لتحويل فكرها إلى الفكر الإسلاميّ بمساعدتها على التعرّف على المنهج الإسلاميّ بكلّ وسيلة ممكنة

٤- الفئة التي انحازت لإسلامها عاطفة وفكراً يجب الأخذ بيدها خطوة أخرى لتتخذ من الـــسلوك الإســـلاميّ سلوكاً عملياً ، ولتحيا حياة إسلامية يبرز فيها الخلق الإسلاميّ بعد وضوح العقيدة والمنهج . ومن الواجب أن ندرك أنّ هذه المرحلة -مرحلة التزام السلوك الإسلاميّ- من أشدّ المراحل صعوبة ، ففيها يبرز الإسلام إلى الوجود الفعلـــي ككائن حيّ وواقع ملموس ، وتبرز مواجهة الواقع الجاهلي المخالف له ، ويبدأ الهجوم من المـــشكّكين والكـــارهين للإسلام وضعف النفوس ، وهنا إمّا أن تتغلّب الفكرة الإسلاميّة على الأهواء والرغبات والمخـــاوف ، أو أن ينـــهزم الفرد أمامها .. وهنا بالذات يحتاج الشاب لمن يقف بجواره ويشدّ أزره ، يحتاج إلى مجتمع إسلامي

٥- وأخيراً : الفئة التي يكون الشاب المسلم فيها مهيّأً لأن يعطي الدعوة عطاء حقيقياً مـــستمرّاً بعـــد مـــروره بالمراحل السابقة ، وعندما تتلاقى جهود الشباب المسلم وتصبّ في المسار الإسلاميّ الصحيح في غير اســـتعجال ولا تراخٍ ولا جهل ، فإنّ مسألة الانقلاب الإسلاميّ المنشود في عالمنا تصبح مسألة وقت

والمراحل السابقة ليست منفصلة عن بعضها تمام الانفصال ، فمرحلة ردّ عواطف الشباب لإسلامهم لا تنفـــصل عن مرحلة استيعابهم للفكر الإسلاميّ ، وأثناء تلك المرحلة يتمّ تحوّل سلوكهم للسلوك الإسلاميّ ، وبعـــد ذلـــك أو خلاله يبدأ الشباب في العطاء للإسلام ، وفي شدّ أزر الجماعة المسلمة

ثالثاً : التيارات غير الإسلاميّة المؤثرة في أوساط الشباب

أوساط الشباب والطلاب مادة جيّدة لانتقال التيارات الفكرية ، لذا فإنّنا لن نعدم وجود تيارات ذات تأثير قوي أو ضعيف في تلك الأوساط . وفي الفترة التي قدّر فيها للمنهج الإسلاميّ أن يغيب عن الحياة كنظام حكم ومنهج دولة بغياب الإسلام عن التشريعات والقوانين ، وغيابه الواضح عن نظم التعليم ، وإقصائه شبه الكامل عن وسائل الإعلام .. في هذه الفترة كان الجوّ مهيّأً لتعمل تلك التيارات غير الإسلاميّة بسهولة ويسر ، وأهم هذه التيارات هي :

١- **العلمانية والفكر المادي** : وهذه وصلت إلى شبابنا نتيجة احتكاكنا بأوروبا في فترة ضعف العالم الإسلامي وقوة أوروبا العلمية ، انتقلت إلينا تقليداً لا تمحيصاً ، ففي حالة أوروبا نتجت هذه الموجة من التعارض بين الفكر

الكنسي وبين أسس العلوم التجريبية ، ممّا لم يعرف مجتمعنا وضعاً مثيلاً له ، وقد بدأت تلك الموجة في الانحسار بعد بداية البعث الإسلاميّ على الصعيد الفكري ، ولكنّها تركت تأثيرها على بعض الشباب . وفي مواجهة هذا التيار يجب إيصال الفكر الإسلاميّ لكلّ تجمّعات الشباب وبكلّ الوسائل المتاحة ، ويجب تعرية هذا الفكر العلماني المادي من أثوابه شبه العلمية التي يتخفى تحتها

٢- **الشيوعية** : في ظلّ الفقر الذي فرضته بعض الحكومات على شعوبها ، وفي ظلّ سياسة القهر وكبت الحريات ومحاربة الإسلام ودعاته ، وتحت ستار الصداقة مع المعسكر الاشتراكي .. وظّفت بعض الحكومات كبار الشيوعيين ليستولوا على وسائل الإعلام ومنظمات الشباب ومقادير الكثير من الأمور ، فأغرقوا ساحة بلادنا بالطنين المستمرّ المتواصل حول الحتميات الشيوعية ، وأغرقوها بالكتاب الشيوعي الرخيص فكان لا بدّ أن تحصل الشيوعية على نصيب في بعض شبابنا الإسلاميّ ، وإن كان هذا النصيب ضئيلاً عدداً ، إلاّ أنّ ارتفاع مستواه التنظيمي والحركي وأساليبه الملتوية في العمل مع ضغوط المعسكر الاشتراكي جعل له صوتاً أعلى من حجمه بكثير ، وساهمت في ذلك المنح الدراسية التي تمنحها روسيا والعالم الشيوعي لأبناء بلادنا وتشترط فيها عدم اصطحاب الزوجات ، وترغم الضعاف منهم بشتى الوسائل على مسايرة الفكر الشيوعي أو تبنّيه .. وقد نعجب إذا عرفنا أنّ روسيا تخصّص جامعات بأكملها لهؤلاء القادمين من بلادنا ليعودوا رسلاً للشيوعية بين ظهرانينا ، يتولّون زمام التوجيه الأدبي والفكري للنشء الجديد . ولكن مع إفلاس الفكر الشيوعي بعد أكثر من خمسين عاماً من تطبيقه وعجزه عن تحقيق بعض ما تدّعيه نظرياته ، وبعد تحوّل الدول الشيوعية لسجن كبير ترتفع صرخات الساكنين فيه ، خاصة من المثقفين والشباب ، وبعد التخلّف التكنولوجي الواضح للمعسكر الشيوعي والترقيعات المستمرّة للنظرية الشيوعية .. فإنّ تضيق الخناق الفكري عليها في أوساط الشباب وبالوسائل المتاحة ، وحتى دون عون الحكومات أصبح أمراً ميسوراً وممكنا

٣- **التبشير النصراني** : ليس المقصود المباشر له تحويل الشباب المسلم عن دينه إلى النصرانية ، بل مقصوده تشكيك طائفة من الشباب المسلم في صدق نبيّه وكمال رسالته .. وماذا نسمّي الضجّة الضخمة حول أكذوبة تجليّات العذراء في مصر مثلاً ، وما صاحبها من منشورات توزّع على طلبة الجامعات المسلمين لتشكيكهم في عقيدة التوحيد .. وإذا أضفنا إلى ذلك مثال الأعداد الضخمة التي أفلحوا في تحويلها عن دينها في إندونيسيا من أوساط الشباب المسلم ، وأضفنا له مذابح المسلمين في الفيليبين وغيرها ، أدركنا مدى خطورة مخططهم ضدّ الإسلام من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب

٤- **القومية والوطنية** : ظهرت كصدى لظهور النــزعات الوطنية والقومية في أوروبا في العصر الحديث وكردّ فعل ينقصه الحساب الدقيق والتجرّد عن الأهواء لضغوط أوروبا العسكرية والاقتصادية والفكرية في عالمنا الإسلاميّ .. ظهرت في ساحة بلادنا في ساحة بلادنا دعوات متطرّفة للقوميات والوطنيات الضيّقة في محاولة لإحلالها

في قلوب المسلمين محلّ جامعتهم الإسلاميّة الشاملة وإطار دينهم الواسع ، ولخلوّ تلك الدعوات من قاعدة عقيدية فإنّها قد تكون أقرب للالتفاف حولها ممّن لم تنضج مداركهم الإسلاميّة ، كما أنّها تكون مدعاة للانفضاض السريع من حولها حين يثبت عدم جدواها وقصورها عن تحقيق المصلحة في عالم مليء بالتكتّلات العقيدية والمادية . وعلى أثر الفشل الذريع الذي لقيه الساسة دعاة تلك الوطنيات والقوميات الضيّقة ، ابتداء بـ (كمال أتاتورك) في تركيا مروراً بـ (الناصرية) في مصر .. وبعد الهوان الذي لقيته الأقطار الإسلاميّة إثر انفضاض الجامعة الإسلاميّة في مطلع هذا القرن ، فإنّ الشباب مهيّأ الآن أكثر من أيّ وقت مضى للانفضاض عن تلك الدعوات الضيّقة القاصرة .. لا سيّما حين يبرز المنهج الإسلاميّ ويتضح في الأذهان

– للكلام صلة –